الباحثون المشاركون في الكتاب

- د. محمد الولي.
- د. مولاي عبد المالك الداودي.
- د. عبد الفتاح شهيد.
- د. خالد العنكري.
- د. امحمد واحميد.
- د. فيصل أبو الطفيل.
- د. عبد الرحمن إكيدر.
- د. عبد العزيز فارس.
- د. مصطفى الغرافي.
- د. مصطفى عطية جمعة.
- د.ة. فتيحة كحلوش.
- د. عمر محضار.
- د. محمد واقديم.
- د. زهير عزيز.
- د. عصام حلوي.
- د. بوجمعة أغزافن.
- د. عمر العسري.
- د. داود الهكيوي.
- د. ة. شهيدة العزوزي.
- د. ة. زهور العزوزي.
- د. لحسن بوشال.
- ذ. ة. حنان الشوك.
- ذ. عادل معدي.
- ذ. ة. فاطمة الزهراء الغزال.
- ذ. محمد شجال.
- ذ. ة. فاطمة الناوي.
- ذ. ة. عتيقة بهيش.
- ذ. حميد أيت بلا.
- ذ. أحمد حزيمي.

الخطاب والهويّة

أعمال مهداة إلى الناقد عبد الفتاح شهيد

خِطَابُ الْهُوِيَّاتِ: اللِّسَانُ وَالإِنْسَانُ وَالْمَجَالُ

تَتَرَكَّزُ فِي الخِطَابِ الأَدَبِيِّ، وَغَيْرِهِ مِنَ الخِطَابَاتِ الأُخْرَى المُوَجَّهَةِ إِلَى الإِنْسَانِ، مَجْمُوعَةٌ مِنَ القَضَايَا الأَدَبِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَالعِرْفِيَّةِ وَالوُجُودِيَّةِ... مِمَّا يُثْبِتُ لِهَذِهِ الخِطَابَاتِ سُلْطَتَهَا المُمَارَسَة عَلَى الإِنْسَانِ فِي مَنَاحِي حَيَاتِهِ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ بِفَضَاءَاتٍ يَأْلَفُهَا وَتَأْلَفُهُ مَادِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا؛ بِعْدَمَا تَحَقَّقَ بَيْنَهُمَا تَوَافُقٌ تَامٌّ أَوْ نِسْبِيٌّ فِي المَنْظُورِ وَالرُّؤْيَةِ... وَلَوْ أَنَّهُمَا عَلَى طَرَفَيْ نَقِيضٍ فِي الخَصَائِصِ وَالسِّمَاتِ... أَو فَضَاءَاتٍ يُنَافِرُهَا وَتُنَافِرُهُ؛ بِعْدَمَا تَحَقَّقَ بَيْنَهُمَا انْفِصَالٌ تَامٌّ أَوْ نِسْبِيٌّ... وَلا يُحَقِّقُ الخِطَابُ لِلإِنْسَانِ التَّأَلُّفَ أَوْ التَّنَافُرَ إِلَّا بِلُغَةٍ طَبِيعِيَّةٍ أَوْ رَمْزِيَّةٍ ضِمْنَ مُجْتَمَعٍ وَاقِعِيٍّ أَوِ افْتِرَاضِيٍّ يُعَجُّ بِثَقَافَاتٍ وَيُغَوِّصُ فِي هُوِيَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ تَتَآنَسُ وَتَتَآلَفُ حِينًا، وَتَتَنَاهَشُ وَتَتَنَافَرُ أَحْيَانًا أُخْرَى بِوَسَائِلَ اتِّصَالِيَّةٍ وَوَسَائِطَ تَوَاصُلِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ تَدْخُلُ عَالَمَ الإِنْسَانِ بِقُوَّةٍ وَتَفْرِضُ هَيْمَنَتَهَا عَلَيْهِ دُونَ إِذْنٍ أَوْ مُشَاوَرَةٍ أَوْ اتِّفَاقٍ مُبْرَمٍ آنِفًا.

تَأْسِيسًا عَلَى هَذَا المُعْطَى الثَّابِتِ حَقِيقَةً، تَبْرُزُ مَسْأَلَةُ الهُوِيَّةِ/الهُوِيَّاتِ الَّتِي تُعَدُّ مِنَ القَضَايَا المَطْرُوحَةِ فِي الخِطَابَاتِ الأَدَبِيَّةِ وَالفَنِّيَّةِ...

• من تقديم الكتاب، بقلم د. خالد العنكري

لا شَكَّ أَنَّ الإِنسانَ تَخْتَرِقُهُ هُوِيَّاتٌ كَثِيرةٌ جِدًّا. إِنَّ هُوِيَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ «رَجُلًا» مُقابِلَ «امرَأَة»، «شَيخًا» مُقابِلَ «شابٍّ»، «أُستاذًا» مُقابِلَ «جُندِيٍّ»... إِلَخ. إِلَّا أَنَّ «الهُوِيَّةَ» قَدْ تَسْتَنِدُ إِلى «الثَّقافَة»، وَتَتَحَدَّدُ بِها. فَأَنا مَغْرِبِيٌّ بِاعْتِبارِ الثَّقافَةِ المَغْرِبِيَّةِ؛ أَيْ: بِاعْتِبارِي مُتَلَقِّيًا هَذا النَّسَقَ العالِمَ الثَّقافِيَّ الَّذِي تَحْتَضِنُهُ هذِهِ الرُّقْعَةُ الجُغْرافِيَّةُ الَّتِي نُسَمِّيها المَغْرِب. هُوِيَّتِي، إِذًا، تَتَمَثَّلُ فِي مَجْموعِ الأَعْرافِ بِمُخْتَلَفِ تَحَقُّقاتِها التَّقْنِيَّةِ، والمَعْرِفِيَّة، والجَمالِيَّة، والأُسْطُورِيَّة، واللُّغَوِيَّة عامَّةً، وَكُلِّ الأَنْساقِ الرَّمْزِيَّةِ الَّتِي تَحْتَضِنُها هذِهِ الرُّقْعَةُ الجُغْرافِيَّةُ الَّتِي نُسَمِّيها وَطَنَنا «المَغْرِب». أَنا أَنْتَمِي إِلى الثَّقافَةِ المَغْرِبِيَّةِ حاضِرًا وَماضِيًا كَذلِك. إِنَّنا نَتَشَبَّثُ نَحْنُ المَغارِبَةُ بِالهُوِيَّةِ المَغْرِبِيَّة؛ أَيْ: بِالثَّقافَةِ المَغْرِبِيَّةِ كَما هِيَ الآنَ، وَكَما كانَتْ فِي الماضِي. طَبْعًا، إِذا كانَتِ الثَّقافَةُ تَعْكِسُ تَنَوُّعًا ما دَاخِلَ هذا المَجالِ، فَمِنَ المَعْقُولِ أَنْ نَعْتَبِرَ هذا التَّنَوُّعَ. فَكَما نَتَحَدَّثُ عَنْ لَهَجاتٍ لُغَوِيَّةٍ، يُمْكِنُ أَنْ نَتَحَدَّثَ -بِالقِياسِ عَلَى ذلِكَ- عَنْ «لَهَجاتٍ ثَقافِيَّةٍ». هذا التَّنَوُّعُ ماثِلٌ أَمامَنا حِينَما نَسْتَعْرِضُهُ عَبْرَ الامْتِدادِ أَوْ عَبْرَ التَّوَزُّعِ المَكانِيِّ. نَعَمْ، هذِهِ التَّنَوُّعاتُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نَعْتَبِرَها لَهَجاتٍ ثَقافِيَّةً، يُمْكِنُ لِأَفْرادٍ أَنْ يَسْتَغِلُّوها لِحِسابِ نَوازِعَ انْشِقاقِيَّةٍ، وَأَحْيانًا نَرْجِسِيَّةٍ. فَيَزْعُمُ أَنَّ الأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِنَسَقٍ مُسْتَقِلٍّ. وَقَدْ يَتَمادَى هذا الطَّرَفُ فَيَعْهَدُ بِذلِكَ إِلى الانْشِقاقِ عَنِ اللُّغَةِ الأُمِّ.

• من تصدير الكتاب، بقلم أ.د. محمد الولي

حينَ كُنْتُ أَخْتَبِرُ أَسْبَلَةَ الهُوِيَّةِ فِي تَضارِيسِ القَصِيدَةِ المَغْرِبِيَّةِ القَدِيمَةِ، كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي أَزِفُّ فِي مَشْرُوعٍ فَرْدِيٍّ مُعَقَّدٍ، وَأَنا مُكَبَّلٌ بِالشَّكِّ وَعَدَمِ اليَقِينِ، خائِفٌ مِن مَفَتِّهِ التَّراخِي، مُتَوَجِّسٌ مِن مَعَرَّةِ التَّناسِي. حَتَّى فاجَأَنِي الزَّمِيلُ الدُّكْتُورُ خالِدُ العَنكَرِي، أُسْتاذُ البَلاغَةِ وَنَظَرِيَّةِ الأَدَبِ فِي كُلِّيَّةِ اللُّغاتِ والآدابِ وَالفُنُونِ بِالقَنِيطِرَةِ، بِاشْتِغالِهِ رِفْقَةَ زُمْرَةٍ مِنَ الباحِثِينَ المُتَمَيِّزِينَ فِي مَشْرُوعٍ واعِدٍ حَوْلَ «الخِطابِ وَالهُوِيَّةِ»، يَتَهَمَّمُ فِي جُزْءٍ مِنْهُ بِهُمُومِ «الشِّعْرِ وَالهُوِيَّةِ»، وَيَهِمُّنِي فِي أَجْزاءٍ أُخْرَى بِآفاقِ الهُوِيَّةِ فِي الخِطابِ دِراسَةً وَتَحْلِيلًا وَتَرْجَمَةً. فَتَوَسَّعَتْ مَساحاتُ الأَمَلِ، وَأَضْحَى التَّراخِي قُوَّةً، وَالتَّناسِي يَقْظَةً. فَأَنِسْتُ رُشْدًا فِي سَبِيلٍ أَضْحَى مَهْيَعًا، وَأَنِسْتُ بِصُحْبَةٍ عِلْمِيَّةٍ تُبَدِّدُ وَحْشَتَهُ، وَتَرْحَمُ غُرْبَتَهُ.

• من افتتاحية الكتاب، بقلم أ.د. عبد الفتاح شهيد

دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع www.darkonoz.com
الأردن: عمان - وسط البلد - ش. الملك حسين - بناية رقم (4)
00962 79 5525494 00962 6 4655877 00962 79 9856161
dar_konoz@yahoo.com darkonoz darkonoz_almarefa
ISBN 978-9923-494-437-0

بحوث محكمة

الخطاب والهويّة

إشراف وتنسيق وتقديم د. خالد العنكري

لوحة الغلاف: محمد أبوعلي/الأردن

بحوث محكمة

الخطاب والهويّة

أعمال مهداة إلى الناقد عبد الفتاح شهيد

إشراف وتنسيق وتقديم

د. خالد العَنِكري

تصدير

أ.د. محمد الولي

د. خالد العنكري

أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب.
جامعة ابن طفيل.
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة. المملكة المغربية.
-الهاتف المحمول: 212630050572+
- Khalid.elanigry@uit.ac.ma

أ.د. محمد الولي

أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب. (سابقا)
جامعة سيدي محمد بن عبد الله. كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
ظهر المهراز-فاس، المملكة المغربية.

أ.د. عبد الفتاح شهيد

أستاذ النقد الأدبي والنظرية الأدبية.
جامعة القاضي عياض. كلية اللغة العربية،
مراكش. المملكة المغربية.
-الهاتف المحمول: 212662532120+
chahidabdelfattah@yahoo.fr

بحوث محكمة

الخطاب والهويّة

أعمال مهداة إلى الناقد عبد الفتاح شهيد

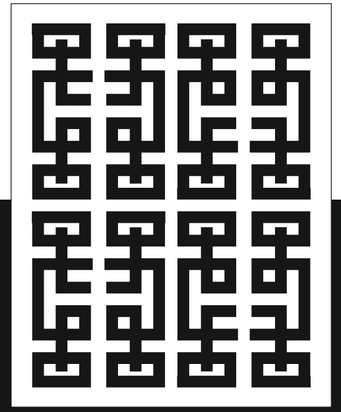

إشراف وتنسيق وتقديم

د. خالد العنِكري

تصدير

أ.د. محمد الولي

نور المعرفة

بحوث محكمة

الخطاب والهويّة

إشراف وتنسيق وتقديم د. خالد العنِكري

نور المعرفة

لوحة الغلاف: محمد أيوب/الأردن

الخطاب والهويّة أعمال مهداة إلى الناقد عبد الفتاح شهيد

نور المعرفة

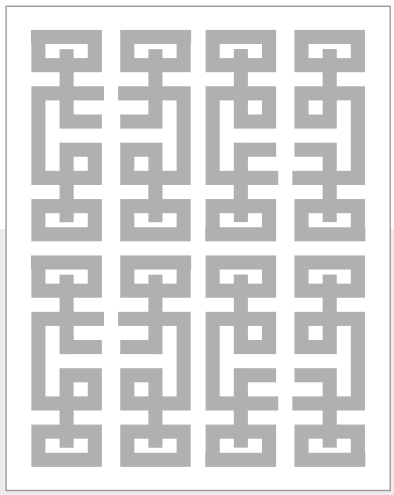

بحوث محكمة

الخطاب والهويّة

أعمال مهداة إلى الناقد عبد الفتاح شهيد

بحوث محكمة

الخطاب والهويّة

أعمال مهداة إلى الناقد عبد الفتاح شهيد

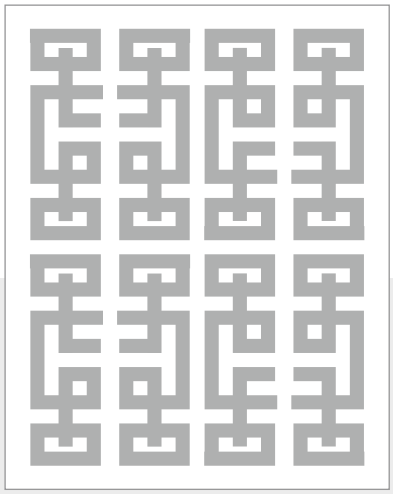

إشراف وتنسيق وتقديم

د. خالد العَنِكري

تصدير

أ.د. محمد الولي

كنوز المعرفة

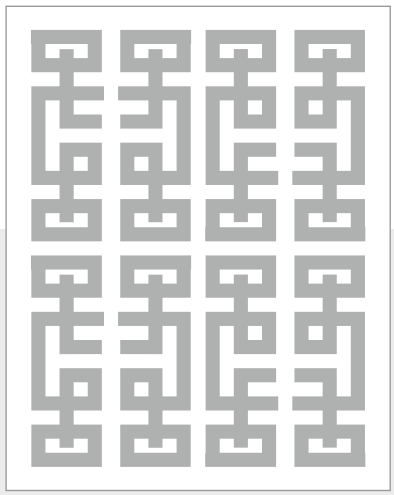

بحوث محكمة

الخطاب والهويّة

أعمال مهداة إلى الناقد عبد الفتاح شهيد

دار كنوز المعرفة

بحوث محكمة

الخطاب والهويّة

أعمال مهداة إلى الناقد عبد الفتاح شهيد

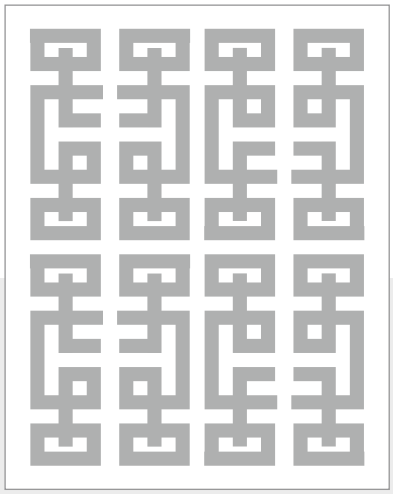

إشراف وتنسيق وتقديم

د. خالد العَنِكري

تصدير

أ.د. محمد الولي

كنوز المعرفة

دار كنوز المعرفة

للنشر والتوزيع

الأردن ـ عمان ـ وسط البلد ـ شارع
الملك حسين ـ مقابل بنك الإسكان
+962 6 4655877
+962 79 5525494
712577 عمان
dar_konoz@yahoo.com
info@darkonoz.com
www.darkonoz.com

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

2025/6/2814

عنوان الكتاب: الخطاب والهوية: أعمال مهداة إلى الناقد عبد الفتاح شهيد.
تأليف: العنكري، خالد.
بيانات النشر: عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2025.
رقم التصنيف: 414.01
الواصفات: / تحليل الخطاب // البلاغة العربية // السرد // النقد الأدبي // التحليل الأدبي // الهوية الثقافية // اللغة العربية /
الطبعة: الأولى.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الطبعة الأولى

1447هـ / 2025م

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة، ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنفيذ الكتاب كاملًا أو مجزّأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على كمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيًّا.

دار كنوز المعرفة

دار كنوز المعرفة

لجنة القراءة والتحكيم

•••••

أ.د. مولاي عبد المالك الداودي،
جامعة ابن طفيل،
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة، المغرب.

•••••

د. خالد العنِكري،
جامعة ابن طفيل،
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة، المغرب.

•••••

أ.د. حسن بدوح،
جامعة السلطان مولاي سليمان،
الكلية المتعددة التخصصات،
خريبكة، المغرب.

•••••

أ.د. عبد الواحد المرابط،
جامعة الحسن الثاني،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
عين الشق، الدار البيضاء،
المغرب.

•••••

أ.د. فاضل عبود التميمي،
جامعة ديالى،
كلية التربية للعلوم الإنسانية،
ديالى، العراق.

•••••

أ.د. سعيد العوادي،
جامعة القاضي عياض،
كلية اللغة العربية،
مراكش، المغرب.

•••••

أ.د. الحبيب مغراوي،
جامعة السلطان مولاي سليمان،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
بني ملال، المغرب.

•••••

أ.د. فريد أمعضشو،
مركز تكوين مفتشي التعليم،
الرباط، المغرب.

•••••

أ.د. أحمد زنيبر،
المركز الجهوي لمهن التربية
والتكوين،
الرباط، المغرب.

•••••

أ. د. عبد العزيز مناضل،
جامعة ابن طفيل،
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة، المغرب.

•••••

أ.د. أحمد قادم،
جامعة القاضي عياض،
كلية اللغة العربية،
مراكش، المغرب.

•••••

أ.د. امحمد إسماعيلي علوي،
جامعة السلطان مولاي سليمان،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
بني ملال، المغرب.

•••••

أ.د. محمد أبحير،
المركز الجهوي لمهن التربية
والتكوين،
قلعة السراغنة، المغرب.

•••••

د. عبد الرزاق المصباحي،
المركز الجهوي للتربية والتكوين،
مراكش-آسفي.

•••••

د. مصطفى رجوان،
جامعة عبد المالك السعدي،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
تطوان، المغرب.

•••••

دار كنوز المعرفة

د. عادل المجداوي،
جامعة عبد المالك السعدي،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
تطوان، المغرب.

•••••

د. جواد ختام،
المدرسة العليا للأساتذة،
جامعة ابن زهر،
أكادير، المغرب.

•••••

د. عبد الغني اسراوي،
جامعة السلطان مولاي سليمان،
المدرسة العليا للأساتذة،
بني ملال، المغرب.

•••••

د. أحمد العياشي،
جامعة ابن زهر،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
أكادير، المغرب.

•••••

د. عمر محضار،
جامعة سيدي محمد بن عبد الله،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
سايس-فاس، المغرب.

•••••

د. عادل الحدان،
جامعة الحسن الثاني،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
بنمسيك، الدار البيضاء، المغرب.

•••••

دار كنوز المعرفة

الباحثون المشاركون

•••••

أ.د. محمد الولي،

جامعة سيدي محمد بن عبد الله،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
ظهر المهراز، فاس، المغرب.

•••••

د. خالد العنِكري،

جامعة ابن طفيل،
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة، المغرب.

•••••

أ.د. عبد الرحمن إكيدر،

جامعة القاضي عياض،
كلية اللغة العربية،
مراكش، المغرب.

•••••

أ.د. مصطفى عطية جمعة،

الجامعة الأمريكية المفتوحة،
الكويت.
الجامعة الإسلامية، تركيا.

•••••

أ.د.ة. فتيحة كحلوش،

جامعة اسطيف 2،
اسطيف، الجزائر.

•••••

•••••

أ.د. مولاي عبد المالك الداودي،

جامعة ابن طفيل،
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة، المغرب.

•••••

أ.د. امحمد واحميد،

جامعة ابن طفيل،
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة، المغرب.

•••••

أ.د. عبد العزيز فارس،

جامعة السلطان مولاي سليمان،
كلية الآداب والعلوم والإنسانية،
بني ملال، المغرب.

•••••

د. عمر محضار،

جامعة سيدي محمد بن عبد الله،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
سايس، فاس، المغرب.

•••••

د. زهير عزيز،

جامعة الحسن الثاني،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
المحمدية، المغرب.

•••••

•••••

أ.د. عبد الفتاح شهيد،

جامعة القاضي عياض،
كلية اللغة العربية،
مراكش، المغرب.

•••••

أ.د. فيصل أبو الطفيل،

جامعة السلطان مولاي سليمان،
الكلية المتعددة التخصصات،
خريبكة، المغرب.

•••••

أ.د. مصطفى الغرافي،

جامعة مولاي إسماعيل،
المدرسة العليا للأساتذة،
مكناس، المغرب.

•••••

د. محمد واقديم،

جامعة ابن طفيل،
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة، المغرب.

•••••

د. عصام حلوي،

جامعة السلطان مولاي سليمان،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
بني ملال، المغرب.

•••••

دار كنوز المعرفة

د. بوجمعة أغزافن،

جامعة ابن طفيل،
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة، المغرب.

•••••

د. ة. شهيدة العزوزي،

جامعة عبد المالك السعدي،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
تطوان، المغرب.

•••••

ذ. عادل معدي،

جامعة السلطان مولاي سليمان،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
بني ملال، المغرب.

•••••

ذ. محمد شجال،

جامعة السلطان مولاي سليمان،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
بني ملال، المغرب.

•••••

ذ. أحمد حزيمي،

جامعة السلطان مولاي سليمان،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
بني ملال، المغرب.

•••••

د. عمر العسري،

جامعة الحسن الثاني،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
عين الشق-الدار البيضاء،
المغرب.

•••••

د. ة. زهور العزوزي،

جامعة محمد الخامس،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
الرباط، المغرب.

•••••

ذ. ة. فاطمة الزهراء الغزال،

جامعة الحسن الثاني،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
المحمدية، المغرب.

•••••

ذ. ة. فاطمة الناوي،

جامعة ابن طفيل،
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة، المغرب.

•••••

ذ. حميد أيت بلا،

باحث في اللغة والأدب،
المغرب.

•••••

د. داود الهكيوي،

الأكاديمية الجهوية للتربية
والتكوين،
مراكش-آسفي، المغرب.

•••••

ذ. ة. حنان الشوك،

جامعة منوبة،
كلية الآداب والفنون
والإنسانيات،
منوبة، تونس.

•••••

د. لحسن بوشال،

جامعة السلطان مولاي سليمان،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
بني ملال، المغرب.

•••••

ذ. ة. عتيقة بهيش،

جامعة ابن طفيل،
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة، المغرب.

•••••

دار كنوز المعرفة

المؤسسات العلمية المشاركة
تصديرا وتنسيقا وتأليفا وقراءة وتحكيما

•••••

جامعة ابن طفيل،
كلية اللغات والآداب والفنون،
القنيطرة، المغرب.

•••••

جامعة السلطان مولاي سليمان،
الكلية المتعددة التخصصات،
خريبكة، المغرب.

•••••

جامعة السلطان مولاي سليمان،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
بني ملال، المغرب.

•••••

جامعة الحسن الثاني،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
بنمسيك، الدار البيضاء، المغرب.

•••••

جامعة سيدي محمد بن عبد الله،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
سايس، فاس، المغرب.

•••••

الجامعة الأمريكية،
الكويت.

•••••

•••••

جامعة القاضي عياض،
كلية اللغة العربية،
مراكش، المغرب.

•••••

جامعة الحسن الثاني،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
المحمدية، المغرب.

•••••

جامعة الحسن الثاني،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
عين الشق، الدار البيضاء،
المغرب.

•••••

جامعة ابن زهر،
المدرسة العليا للأساتذة،
أكادير، المغرب.

•••••

جامعة عبد المالك السعدي،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
تطوان، المغرب.

•••••

جامعة سطيف 2،
اسطيف، الجزائر.

•••••

•••••

جامعة محمد الخامس،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
الرباط، المغرب.

•••••

جامعة مولاي إسماعيل،
المدرسة العليا للأساتذة،
مكناس، المغرب.

•••••

جامعة السلطان مولاي سليمان،
المدرسة العليا للأساتذة،
بني ملال، المغرب.

•••••

جامعة سيدي محمد بن عبد الله،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
ظهر المهراز، فاس، المغرب.

•••••

جامعة ابن زهر،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
أكادير، المغرب.

•••••

الجامعة الإسلامية،
تركيا.

•••••

دار كنوز المعرفة

جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس.

•••••

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الرباط، المغرب.

•••••

•••••

جماعة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ديالى، العراق.

•••••

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، قلعة السراغنة، المغرب.

•••••

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، مراكش-آسفي، المغرب.

•••••

مركز تكوين مفتشي التعليم، الرباط، المغرب.

•••••

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، الرباط-سلا-القنيطرة، المغرب.

•••••

•••••

دار كنوز المعرفة

فهرس المحتويات

الافتتاحية 15
أ.د. عبد الفتاح شهيد

التصدير 19
أ.د. محمد الولي

التقديم 25
د. خالد العنِكري

القِسْمُ الأَوَّلُ: هُوِيَّاتٌ بِمِنْظَارٍ مَغْرِبِيٍّ فِي اللُّغَةِ وَالأَدَبِ:
دِرَاسَاتٌ تَحْلِيلِيَّةٌ لِـمُنْجَزِ الْكَاتِبِ عَبْدِ الفَتَّاحِ شَهِيد

- تحليل الخطاب الأدبي من منظور ثقافي بحث في الآليات والسمات مُنجز عبد الفتاح شهيد أنموذجا .. 43
د. خالد العنكري
- الهوية وفاعلية الإيقاع الشعري: قراءة في كتاب: "الشعر والهوية: دراسة في شعرية القصيدة المغربية" لعبد الفتاح شهيد 93
د. عمر محضار
- نظام التراكيب في القصيدة المغربية من مضمرات الذهن المبدع إلى أفق التلقي الممتد..... 113
د. زهير عزيز
- الشعر بين عوارض الصياغة وتشكلات الأنساق: كتاب: "الشعر والهوية" لعبد الفتاح شهيد نموذجا . 133
ذ. أحمد حزيمي
- الهوية والحجاج في الشعر المغربي القديم: كتاب: "الشعر والهوية" لعبد الفتاح شهيد أنموذجا..... 149
د. محمد واقديم – أ.د. امحمد واحميد
- الغرض والهوية في الشعر المغربي القديم: كتاب: "الشعر والهوية" لعبد الفتاح شهيد أنموذجا 183
د. لحسن بوشال
- اَلتَّهَمُّمُ بالهُوية في نقد الدكتور عبد الفتاح شهيد لِمَغْرِبِيِّ الشِّعْرِية..... 203
د. داود الهكيوي
- المرتكزات العلمية لكتاب: "الشعر والهوية: دراسة في شعرية القصيدة المغربية" لعبد الفتاح شهيد .. 233
ذ. حميد أيت بلا

كنوز المعرفة

القِسْمُ الثَّانِي: هُوِيَّاتٌ بِمِنْظَارٍ عَرَبِي فِي اللُّغَةِ وَالأَدَبِ وَالمُجْتَمَعِ: المَفْهُومُ والتَّمَثُّلَاتُ وَالتَّجَلِّيَاتُ وَالآفَاقُ

- الهوية والثقافة بحث التمثلات المفهومية 249
  فاطمة الناوي – أ.د. مولاي عبد المالك الداودي
- الشعر والهوية في التراث الأدبي العربي 271
  أ.د. مصطفى الغرافي
- السيبرنتيكا وضمور معضلة الهوية 279
  أ.د.ة. فتيحة كحلوش
- الهوية والكتابة باللغة الأجنبية في الرواية العربية المغاربية 315
  أ.د. مصطفى عطية جمعة
- تجليات الهُوية في الخطاب النقدي المعاصر أحمد بوحسن أنموذجا 337
  د.ة. زهور العزوزي
- الشعر والهوية العربية: تجسير العلاقة بين نماذج من الشعر الجاهلي والمغربي 349
  د. ة. شهيدة العزوزي
- الهوية الموسيقية التراثية المغربية: بحث في الأنواع والخصائص 363
  ذ. محمد شجال
- الشعر العربي والهوية: حدود التداخل والتخارج 383
  د. عمر العسري

القِسْمُ الثَّالِثُ: هُوِيَّاتٌ بِمِنْظَارٍ غَيْرِ عَرَبِي -تَرْجَمَاتٌ-

- من أجل مقاربة أدبية للهوية 405
  تأليف: ماجالي فورنود / ترجمة: أ.د. عبد الرحمان إكيدر – فاطمة الزهراء الغزال
- حوار مع سليمان بشير ديان– القَبَلِيّة الهوِيّاتية 419
  حاورتْه: جولييت سيرف / ترجمة: أ.د. فيصل أبو الطُّفَيْل
- رموز الهوية: الوشم، ثقوب الحلي وغيرهما 427
  تأليف: دافيد لوبروتون / ترجمة: د. عصام حلوي – عتيقة بهيش
- اللغة بوصفها مؤشرا للهوية 435
  تأليف: جاكلين بيلييز / ترجمة: د. بوجمعة أغزافن
- الهوية أو عدم اليقين 451
  تأليف: كلاوديو ماجريس / ترجمة: حنان الشوك
- الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية 463
  تأليف: نورمان فاركلوف / ترجمة: د. عادل معدي – أ.د. عبد العزيز فارس

دار كنوز المعرفة

الهوية والكتابة باللغة الأجنبية في الرواية العربية المغاربية

أ.د. مصطفى عطية جمعة(*)

مقدمة

إبّان الحقبة الاستعمارية للعالم العربي، سعت قوى الاستعمار إلى نشر لغاتها في المدارس والجامعات العربية، وإماتة اللغة العربية، بدعوى أن لغة المستعمر هي لغة الحضارة والتقدم، وانعكس ذلك على الحركة الأدبية، فظهر كتّاب ومبدعون عرب، أجادوا لغة المستعمر، وافتقدوا لغتهم الأم، فجاءت إبداعاتهم -في غالبيتها- باللغات الأوروبية، خاصة الفرنسية والإنجليزية، صاغوا فيها أفكارهم، ومشاعرهم، وهموم أوطانهم، وسردياتهم حول جرائم الاستعمار، وهذا وجه من وجوه المأساة، فالمفترض أن إبداعاتهم تتوجه إلى شعوبهم؛ تثري لغات هذه الشعوب، وتضيف لها جماليا ومعرفيا وفكريا، وأبرز مثال على ذلك روائيي المغرب العربي: (المغرب، وتونس، والجزائر)، فقد صاغ أكثرهم رواياتهم باللغة الفرنسية، لتعلّمهم في المؤسسات التعليمية التي أنشأتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وسعت إلى محو الهوية الثقافية واللغوية لهذه الشعوب.

في ضوء ذلك، تأتي إشكالية هذا البحث الآتية:

- كيف تبدّى التأثير الغربي الإبداعي في الكتابة الروائية العربية عامة، والرواية المغاربية خاصة على صعيد الكتابة بلغة المستعمر؟

وسعيا للإجابة عن هذا السؤال، ناقش الباحث قضاياه في محاور متتالية:

(*) أستاذ الأدب العربي والنقد (مصر). الجامعة الإسلامية (تركيا). الجامعة الأمريكية المفتوحة (الكويت)

- **أولها**: إشكالية اللغة والتأثر في الرواية العربية عامة، والرواية المغاربية خاصة، وهو تأثير ممتد إلى اللغة والفكر والثقافة.
- **وثانيها**: أدب المهجر والشتات، وعلاقته بالرواية المغاربية، وأزمة الهوية.
- **وثالثها**: الرواية العربية والرواية الغربية رؤية مقارنة، من أجل الوقوف عند طبيعة التأثير، وكيف أن الرواية العربية الحديثة والمعاصرة استفادت من المنجز الغربي الإبداعي، وتميزت في طروحاتها السردية.
- **ورابعها**: تميز الرواية المغاربية العربية، اتساقا مع سعي الثقافة العربية الحديثة إلى التعامل بمثاقفة مع الإرث الإبداعي الغربي، والخروج من حالة الاستلاب الحضاري والثقافي.

آمل أن يكون هذا البحث إضافة معرفية وفكرية في قضية شائكة، وهي قضية: التأثير والتأثر في الرواية المغاربية الإفريقية، وما يتصل بها من تشابكات تتصل بالهوية.

أولا: إشكالية اللغة والتأثر في الرواية العربية

لا يمكن بحث علاقة الرواية العربية بهموم الإنسان العربي دون التطرق إلى قضيتين مركزيتين، وهما: قضية اللغة في الكتابة الروائية، وقضية التأثير والتأثر في العلاقة مع الإبداع الغربي، وكلتاهما متصلة بالتناول الإنساني في الرواية العربية عامة، ورواية الشمال العربي الإفريقي خاصة. فاللغة ليست مسألة شكلية أو تتصل بالمتن النصي، كما يخيّل إلينا، وإنما لها وجوه متعددة، تتصل بتكوين الروائي، والمؤثرات التي تعرض لها، في ضوء أنه لم ينفصل عن مجتمعه العربي في واقعه أو خياله السردي، سواء كتب بالعربية أو بغيرها.

والأمر نفسه يتعلق بالتأثير الغربي في الرواية العربية، فثمة إشكالية كبرى يتناولها بعض الباحثين، بسبب قضية المذهبية الأدبية، وكيف أن روائيي المغرب العربي كانوا أسرى الرواية الغربية شكلا وطرحا وموضوعاتٍ، ومذهبيات وأفكارا، وإن كانت موضوعات رواياتهم تناولت المجتمعات العربية.

وكما يذكر شكري عياد، فإن الأمر يتعلق بموقف حضاري في المبتدأ، فقضية المذاهب الأدبية والنقدية هي فرع من قضية أكبر وهي قضية العلاقة بين الثقافتين العربية والغربية، وقد أصبحت لهذه القضية أهمية خاصة خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، حيث تواجهنا -نحن الشعوب العربية التي تعيش في الشمال الإفريقي- التي كانت لها شخصية ثقافية ناجحة قبل أن تتصل بثقافة الغرب؛ فهي معرضة للموت في الحالين: إذا انعزلت أو لم تنعزل. والأول لا يقبله عقل، لأن الانعزال يعني حرماننا من التقدم الحضاري الهائل الذي وصل إليه الغرب والعالم المتقدم، ولا ينسجم في الأساس مع ثقافتنا في تعاطيها الإيجابي مع الحضارات العالمية. أما عدم العزلة، فإن أنصار الحداثة، يعنون بها القطيعة مع الماضي، كما يرفض عيّاد الحلول الوسطى، والترقيعية، والتوفيقية، داعيا لمناقشة جذرية[1].

وفي رأينا أن القضية تظل في حالة شد وجذب، ما دمنا في حالة من التراجع الحضاري، وأيضا التراجع النهضوي والتنموي، فهي نظرة شاملة، وليست جزئية. ولكن إذا كنا في حالة مضادة، ونعني بها حالة الصعود الحضاري، والأخذ بأسباب النهضة الحقيقية علما وإبداعا واختراعا واكتفاء ذاتيا؛ فإن النظر إلى الأمور سيختلف، لأننا نقف على أرض صلبة، تجعلنا في حالة عزة، وليست حالة استلاب، وساعتها ستنتفي مثل هذه الأسئلة، وتحل مكانها أسئلة أخرى، من قبيل ماذا عن تميزنا، ومشاركتنا في الخارطة العالمية للإبداع والحضارة؟ وأرى أن هذا الوضع تحقق بشكل جزئي، في الرواية الإفريقية عامة، وفي رواية الشمال العربي الإفريقي خاصة، لأن الإنتاج الروائي المغاربي هائلٌ في أرقامه، عظيم في طروحاته، بما ينقلنا من دائرة الاستلاب والتساؤل عن التأثر، إلى دائرة الندية، التي تعني عطاءً وإفادة وإثراء.

لذا، فمن الأفضل مناقشة القضيتين المذكورتين مناقشة تفصيلية، وذكر موقفيهما إزاء القضايا الإنسانية المطروحة في الإبداع الروائي وأبعادها الفكرية والاجتماعية،

(1). شكري محمد عياد، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع.177، 1993، ص16-17.

وما يتصل بها من إشكالات ثقافية وحضارية، وهو نقاش يلزمنا بالنهج التحليلي التاريخي، مع نهج المقارنة والمثال، لتكتمل الرؤية، ويتضح المشهد.

وإذا بدأنا بالمنظور اللغوي، فإن الرواية العربية المغاربية تعني كل ما يكتب باللغة العربية، من قِبل الروائي بشكل مباشر، وإن لم يكن عربيا في الأصل، المهم أن يكون إبداعه بالعربية معبرا عن الثقافة العربية والإسلامية والمجتمعات العربية، أو حتى الأقليات العربية والمسلمة التي تعيش في مجتمعات غير عربية. فالعباءة اللغوية للرواية العربية واسعة في دلالاتها الثقافية والقومية والاجتماعية، على خلاف ما نجد من تمايزات في الروايات الأوروبية، تلك التي تربط كينونة الرواية بالهوية والشعوب التي تعبر عنها، بغض النظر عن لغتها المكتوبة، فهناك على سبيل المثال الرواية الهندية المكتوبة بالإنجليزية، فهي تعبر عن المجتمع الهندي، إذًا، فالتصنيف تجاوز اللغة، وأضحى مرتبطا بالمجتمع والوطن والثقافة.

وهذا يحفزنا لطرح قضية **كتابة الرواية العربية باللغات الأجنبية** (الإنجليزية والفرنسية مثلا) من قِبل بعض روائيي المغرب العربي، وعبروا فيها عن مجتمعاتهم العربية ومشكلاتها، وانطلقوا فيها من هويتهم وثقافتهم العربية والإسلامية. فهؤلاء يجب علينا النظر في إبداعاتهم على أنها روايات عربية إلّا أنها مكتوبة باللغة الأجنبية، فأبطالها عرب، وأحداثها تجري في أقطار عربية، وتتناول الآلام التي تحملتها الشعوب العربية، كما تنطوي على الآمال التي تجيش في صدورهم، وهي قبل كل شيء صاغها عقل عربي له ثقافته وأسلوبه الخاص في النظر إلى القيم، وفي الإحساس بالمشكلات، وفي معاناة الحياة، وكذلك في تصوره للزمان والمكان.

والحقيقة، أن هذه القضية تعبّر عن معاناة الكتّاب العرب الذين اضطروا للكتابة بلغة المستعمر، حيث عَدَّ الروائيون -الذين كتبوا بالفرنسية- أنفسهم منفيين عن لغتهم الأم العربية إلى اللغة الفرنسية، وشعروا بأسى بالغ لعلاقتهم القسرية بالفرنسية التي فُرضت عليهم، وأنهم حُرموا من التمكن من العربية، وينظرون للمسألة على أنها "دراما لسانية" على حد تعبير ألبير ميمي، وأنها حالة استلاب لغوي كما قال ذلك أحمد الصفريوي

وجان عمروش وكاتب ياسين، أما إدريس الشرابي فيقول: "منذ عشر سنوات ودماغي العربي المفكر بالعربية يطحن مفاهيم أوروبية على نحو بالغ العبث"، والشرابي نفسه تنسب له العبارة الشهيرة: "إن أرواحنا تنزف دمًا في فرنسا". وقد كان التعبير الأبلغ ما فاض به لسان كاتب ياسين عندما قال: "إن معظم ذكرياتي وإحساساتي وأحلامي ومناجاتي الداخلية تتعلق ببلادي، فمن الطبيعي أن أشعر بها في صيغتها الأولى، أي لغتي الأم العربية، ولكني لا أقدر على إنشائها والتعبير عنها إلا بالفرنسية"[1]. إنها مأساة كبرى، صنعها الاستعمار الفرنسي إبداعيا، عندما جعل الأديب الجزائري يكتب عن مأساة وطنه الرازح تحت الاستعمار بلغة المستعمر، فيصوغ أحاسيسه بلغة مَن يُفترض أن يتمرد عليه، ويثور ضده، بل ويقاومه ويطرده من أرضه ويرفض ثقافته الاستعمارية.

ولعل الدليل الأبرز الذي يعبر عن حجم المأساة والإحساس ما قاله الروائي الجزائري "مالك حداد": "إن اللغة الفرنسية تفصلني عن وطني أكثر من البحر المتوسطي". فلا شك أن هناك ممارسة استعمارية استعلائية سعت إلى أن يكون الكتّاب العرب خدما للثقافة الفرنسية وحملة لمشاعلها. ومن المثير للعجب والأسى أن يُسأَلَ الأديب الكبير عبد الكبير الخطيبي من أحد رجال الاستعمار الفرنسي عن سبب ضعف تأثير الفرنسية في المغرب، مدّعيا أن الفرنسية كانت قليلة الإخصاب، مقارنا بين تأثير اللغة الإسبانية في أمريكا اللاتينية وتأثيرها في المغرب العربي. ولفظة (الإخصاب) نفسها تنم عن منطق استعماري متكبر. والخطيبي الذي كتب بالفرنسية تعرض للقمع من أوساط ثقافية فرنسية منعته من إلقاء ورقته في مناظرة حول الأوضاع العامة للفرانكفونية (Francophonie)؛ لأنها لا تخدم الثقافة الفرنسية، ولهذا يقول: "إن كُتّابنا لا يُطلب منهم أن يكتبوا بالفرنسية ويعملوا على إشعاعها فحسب، وإنما كذلك أن يكونوا خدّام الأعتاب الفرانكفونية نظامًا وسياسة محددة الاختيارات والرؤى"[2].

(1) يُنظر: بن سالم حميش، في إشكالية الهوية المزدوجة: الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية نموذجا، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج.16، ع.4، ربيع 1998، ص.137-146.

(2) محمد صالح الشنطي، إشكالية الانتماء في الرواية العربية المكتوبة بالفرنسية. موقع ديوان العرب: http://www.diwanalarab.com 23-03-2007.

بالطبع هناك من الأدباء والمثقفين من توحّدوا مع الفرانكفونية قلبا وقالبا، ولغة وإبداعا، وكانوا أشبه بالكتائب الداعمة لما يسمى بالفرانكفونية.

ثانيا: أدب المهجر والشتات

إن القضية المتقدمة، يشتبك معها ما يسمى أدب المهجر أو أدب الشتات (Diaspora Literature)؛ ويعني أدب المجموعات أو الأقليات التي تعيش خارج حدود أوطانها. والقاسم المشترك في نفسية الكتّاب المهاجرين هي فكرة البحث عن الهوية، والحنين إلى الجذور، مع الشعور بالذنب (لمغادرتهم أوطانهم واغترابهم الدائم) لذا، فإن هؤلاء يعودون غالبًا لاستعادة أوطانهم (أدبيا) لأسباب مختلفة، منها البحث الدائم عن جذورهم أو تخليدا لمعنى الوطن وتاريخه في أعماقهم أو لإعادة تنشيط ذكرياتهم القديمة؛ شوقا لمهادهم الأول. ولكن بنظرة عالمية، فإن هذه الإبداعات تسهم في تعميق التواصل الإنساني، ودمج المجتمعات الإنسانية، من خلال الحديث عن الأوطان والثقافات المحلية في فضاء العولمة[1].

لقد باتت الحدود الوطنية الآن – في عصر التدفق المعلوماتي– لا وجود لها إلا على صعيد الهوية الثقافية وخصائص البيئة المحلية. إن قضية الأدب المهاجر، تنبع مما يتصل بالحياة في المهاجر المختلفة، ونظرة المهاجرين المتأرجحة بين الوطن الأم، وبين أرض المهجر، وما يتصل بالوطن المحلي ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا. وهو ما يتم اختبار فرضياته، عندما نقرأ نصوصا للأدباء المهاجرين، من حيث الهويات الثقافية المشكلة في الوطن الأم، والتأثيرات التي تعرضت لها، ضمن عملية تشكيل الهوية الجديدة لهؤلاء المهاجرين، وتقاربها مع الهوية العالمية، مع الأخذ في الحسبان أثر القبضة القمعية للدولة القومية، على تشكيل هويات هؤلاء المهاجرين[2].

(1) Itishri Sarangi, Literature and Diaspora, KIIT University, Odisha State India, (bengalstudents.com/blogs/onlinerose/diaspora-literature-special, PP.1-2.

(2) Kristina S. Vassil, Writing Diasporic Identity inthe Literature of Early Twentieth-Century Japanese America, in The University of Michigan, 2011, P.11.

كما تناقش دراسات أدب المهجر برامج الاستيعاب التي تفرضها الحكومات على المهاجرين، من أجل دمجهم لغويا وثقافيا في مجتمعات الهجرة، وقضايا التعددية اللغوية والتعددية الثقافية والعرقية، وماذا تعني لهم ثقافة بلاد المهجر[1].

فهناك روائيون من دول عربية عديدة، كتبوا رواياتهم باللغات الأوروبية، ليس افتخارا بلغة المستعمر، وإنما لعدم تمكنهم من اللغة العربية؛ فكثير منهم نالوا تعليما كولونياليا (Colonial) في مؤسسات تعليمية تابعة للمستعمر الأجنبي على أرض الوطن، ولظروف عديدة عاشوا في أوروبا أو عاشوا في أوطانهم دون أن يمتلكوا العربية بوصفها لغة إبداع، ولكن عيونهم وقلوبهم كانت منصبة على أوطانهم، فانحصرت كتاباتهم في تجاربهم وخبراتهم في مجتمعاتهم العربية التي عاشوا فيها، وحافظوا على الانتماء لها.

منهم روائيون من مصر، وبلاد المغرب العربي والصومال، والظاهرة متسعة وممتدة، وتشمل أجيالا عديدة. والمثال على ذلك، الإحصاءات المدونة عن الأعمال الروائية المكتوبة بالفرنسية في أقطار المغرب العربي، ففي الفترة الواقعة بين عام: 1945 وعام: 1964، ظهرت سبع وثلاثون رواية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية، وفي المرحلة ما بين عام: 1965 وعام: 1972، صدرت سبع عشرة رواية مكتوبة بالفرنسية، في حين أن الروايات التي كتبت باللغة العربية في تلك المرحلة لم تتعد الروايات الثلاث؛ أما في تونس والمغرب فقد بلغ مجموع الروايات التي كتبت بالعربية فيما بين عام: 1945 وعام: 1972 أكثر من خمس وثلاثين رواية، في مقابل إحدى وعشرين رواية مكتوبة بالفرنسية[2].

حقا هناك عوامل عديدة، وراء هذا الإنتاج الغزير باللغة الفرنسية في دولة عربية كبيرة مثل: الجزائر، فهؤلاء الأدباء نتاج لإشكالية كُبرى تمثلت في السياسة

(1) Ibid, P.12.

(2) عبد الكبير الخطيب، الرواية المغربية، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1971، ص.40.

الاستعمارية، التي انتهجتها فرنسا في بلاد المغرب العربي، التي لم تقتصر على مجال الأدب فقط، وإنما شملت المنظومة الاستعمارية كلها، وسعيها إلى ترسيخ الاستلاب الثقافي والتبعية الثقافية لشعوب المستعمرات في نُظمه التعليمية والاجتماعية والاقتصادية، والمعاملات الإدارية، حيث سعت الإدارة الاستعمارية إلى نشر لغتها وحضارتها وثقافتها، في دول المغرب العربي حتى بعد الاستقلال، بأشكال ومؤثرات مختلفة؛ سعيا منهم إلى الحفاظ على الروابط الثقافية الاستعمارية، بعدما أفلتت منهم سياسيا وعسكريا. تبدت الإشكالية في كون غالبية هؤلاء الروائيين أجادوا الفرنسية لغة، وتشربوا ثقافتها فكرا، ولكن ظلوا محافظين على انتمائهم العربي والوطني، ويرون أن رسالتهم ليست موجهة إلى المستعمر ولا القارئ الفرنسي، وإنما إلى الشعب العربي. وربما كان حاجز التمكن من اللغة العربية حائلا أمامهم، من أجل التواصل مع الجمهور، وإن تُرجِمت بعض أعمالهم، ولكن ظلت غالبية رواياتهم بلغة الاستعمار.

ثالثا: الرواية العربية والرواية الغربية: رؤية مقارنة

إن الطرح المذكور آنفا، يدفعنا إلى مناقشة إشكالية علاقة الرواية العربية بالرواية الغربية خاصة، وبالمركزية الثقافية الغربية عامة؛ ففيها العديد من الإشكالات تتأطر ضمن دائرة التأثير والتأثر والاستلاب والعطاء. فقد تأثرت الرواية العربية منذ نشأتها بالرواية الغربية، على مستوى الشكل الفني وطرائق السرد، حيث كانت الرواية الغربية في حالة من الاستواء والنضج، بجانب الشهرة والانتشار التي جعلت أسماء الروائيين الغربيين متداولة في الأوساط الثقافية والشعبية على السواء في العالم العربي، نتيجة حركة الترجمة، واطلاع الكثيرين على الروايات الغربية في نصوصها الأصلية باللغات الأوروبية.

وقد تراوحت الرواية العربية في مسيرتها بين التأثر بالمركزية الروائية الغربية، وبين التعبير عن السيرورة الاجتماعية العربية، المتمثلة في التبدلات الاجتماعية

التي أصابت المجتمع العربي، مما أدى إلى ظاهرة التداخل والاختلاط في مراحل تطورها، على خلاف الرواية الغربية فإن مراحل تطورها واضحة متميزة[1]. ولنأخذ مسيرة الرواية الإنجليزية بوصفها نموذجا معبّرا عن رحلة الرواية في الغرب الأوروبي؛ وكي تكون المقارنة واضحة في أذهاننا بينها وبين تطور الرواية العربية.

لقد بدأت الرواية الإنجليزية بالرواية النثرية، بعد ظهور المسرح النثري، وانتشار الطباعة، واتساع الفئات المقبلة على القراءة، بازدياد نسبة المتعلمين، خصوصا في أوساط النساء، مع تقدم الحياة المدنية، وتوافر سبل الراحة، فصار لهن وقت فراغ، ناتج عن تخفيف الأعباء المنزلية عنهن- فأصبح الكتّاب الروائيون منتجين لمنجز رائج وهو الرواية، التي يترقبها جمهور واسع، وتواكب ذلك مع بزوغ النزعتين الفردانية والعلمانية، اللتين أنتجتا مع تشجيع البحث العلمي والمبادرة الفردية[2].

توازى ذلك مع الإحساس بالصعود القومي للهوية الإنجليزية، حتى إنّ الرواية الإنجليزية تعرّف -كما هو شائع- بأنها الرواية التي تكتب باللغة الإنجليزية، بقلم مؤلف إنجليزي، من حيث القومية أو الأصل أو السكن، في مقابل مؤلف أمريكي أو أيرلندي، أو أسكتلندي أو ويلزي، أو ما عدا ذلك من الهويات القومية الناطقة بالإنجليزية. وقد ظلت صفة الإنجليزية حتى منتصف القرن العشرين تستعمل عادة في الدلالة على كل ما يكتب باللغة الإنجليزية من القصص. أما الآن فإن التراث القومي المختلف، والعائد إلى كل قومية على حدة، يُنظَر إليه على أنه منفصل عما سواه. فهم مثلا ينظرون إلى الأدب الأمريكي المكتوب بالإنجليزية على أنه واسطة للتعبير عن الأسطورة القومية الأمريكية، ولا علاقة له بالرواية الإنجليزية[3].

---

(1) نفسه، ص.45.

(2) نعيسة جهاد عطا، في مشكلات السرد الروائي: قراءة خلافية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص.13-14.

(3) باترِك بارندر، الأمة والرواية: الرواية الإنجليزية من بداياتها حتى الوقت الحاضر، تر. محمد عصفور، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط.1، 2009، ص.15-16.

فالرواية الإنجليزية في مفهومها- الحديث والمعاصر- تختص بالرواية التي يكتبها أبناء إنجلترا فقط، ولابد أن يكون المؤلف إنجليزيا في انتمائه وتكوينه وأصله.

وقد تعددت مراحل الرواية الإنجليزية؛ فالحقبة الأولى منها ممتدة زمنيا، وأنتجت لونا سرديا، يطلق عليه رواية: الفرسان والبيوريتانيون والمتشردون، خلال الحقبة: 1485 إلى: 1700، فظهر ما يسمى "روايات الأجيال"، التي تتناول تاريخ العائلات من الجد إلى الأحفاد. وعاصرتها "رواية التودد"، التي تجمع بين عائلتين، من خلال علاقات قرابة أو مصاهرة، وتتناول ما ينتاب هذه العلاقة من تغيرات ومؤثرات، وكانت هذه الروايات تستغرق مجلدين إلى ثلاثة مجلدات، خاصة أن أشجار العائلات الإنجليزية ممتدة جذورها، وفيها الكثير من الحكايات والغرائب، بما يجعلها مثقلة بالدلالات الثقافية والاجتماعية، فبعض أبناء العائلات الكبيرة كانت لهم أدوار خطيرة في الحرب الأهلية، وبعض العائلات فيها لقطاء، وقد استطاعت هذه الروايات أن تربط الهوية العائلية بالهوية القومية الإنجليزية، وتنتهي هذه الروايات نهايات سعيدة، بالتئام العائلة، وعودة الحب والتراحم إلى أبنائها، بعد فترات من الصراعات والغربة.

ولكن اللافت في هذه المرحلة أنها سعت إلى تثبيت الهوية القومية الإنجليزية[1]، واستمر هذا التيار مع روايات كروزو المشاكس، التي ألّفها دانيل ديفو، وهو كاتب صحفي، وكتب كُتبا عديدة في أدب الرحلات والتاريخ والتعليم، وتشكل كتاباته النثرية شيئا أقرب إلى الموسوعة التي تضم كل شيء، ولا تلتزم بالسردية الروائية أحيانا، وإليه يرجع الفضل في تخيل شخصية روبنسون كروزو، التي مثّلت الشخصية الإنجليزية النموذجية. ويعد أبا للرواية الإنجليزية الحديثة، وعمل على إظهار تناقضات الهوية البريطانية، وشدد على أهمية ترسيخ الهوية الإنجليزية فقط[2].

(1) نفسه، ص.64-67.

(2) نفسه، ص.125 وما بعدها.

وتتالت أشكال الرواية الإنجليزية، فظهرت رواية الآلام التي تتناول صورا من المآسي الاجتماعية لفقراء المجتمع الإنجليزي، وأوجه المعاناة الشديدة التي لقيتها الفئات السفلية الاجتماعية، ثم ظهرت روايات اللّص الكريم، والتي تعتمد على لص ظريف، يسرق ليعطي الفقراء والمعوزين والمومسات وغيرهم، معلنا معارضته لفكرة الكرم الذي يبديه بعض الأغنياء للفقراء، ويراه نوعا من النفاق الاجتماعي، وبدأت منذ عصر الروائي فيلدينغ إلى العقد الأخير من القرن الثامن عشر، وأبرز روادها هوبز وماندفيل[1].

ثم ظهرت روايات التوريّة الرومانسية، التي تتناول القرية الإنجليزية التقليدية، بكل ما فيها من جمال وبساطة، ضد الهجوم الرأسمالي عليها، وطرد سكانها، وكان أبرز كتابها والتر سكوت، ودزيلي، وآخرون. تلتها مرحلة روايات البنات التوريّات وسياسة الزواج، وأبرز مؤلفيها جين أوستن، وشارلت برونتي، وإليزابث كاسل، وقد عززت هذه الروايات المشاعر الوطنية الإنجليزية، والنظام الأبوي، والمثل الرعوية، والمسؤولية الأخلاقية للفرد، وسعى بعضها إلى ترسيخ النظام الاجتماعي الإنجليزي، ضد دعاوى الثورة الفرنسية، ونادوا بالحفاظ على الملكية ضد فوضى الجمهورية التي اجتاحت فرنسا. وجاءت روايات تشارلز دكنز التي تضع الرذائل العامة ضد الفضائل الخاصة، وتمتدح رجال الأعمال الناجحين، وتشيد بالشخصيات الطموحة المثابرة، وغالبية شخصياته تنتمي إلى مدينة لندن.

ويبدو أن هذا التيار يواكب صعود المجتمع المدني البريطاني، والادعاء بأن قاطنيه يتفوقون على أبناء الريف الإنجليزي، ضد ما ادعاه بعض الكتاب مثل الشاعر ووردث ورث بأن أبناء المدن مجهولو النسب معزولون كالحيوانات البرية[2].

وهناك روايات سوق الأباطيل والعميل السري، وظهرت في عصر الملك إدوارد والعصر الفيكتوري، وهي أقرب إلى روايات التسلية، وتتحدث عن العميل السري

(1) نفسه، ص.159، وص.203، وص.239.

(2) نفسه، ص.275، وص.339، وص.395.

ذلك المقامر الذي يطوف أوروبا ويصف مغامراته فيها. وفي نهاية القرن التاسع عشر، ظهرت روايات تتحدث عن مصير إنجلترا، إذا اجتاحتها القوى المعادية في أوروبا، مثل ألمانيا الصاعدة، أو تعرضت لغزو خارجي من سكان أحد الكواكب، أو إذا انتشرت فيها الشيوعية، وتأممت الحكومة المركزية، وكلها تهدف إلى الحفاظ على الوضع القائم، وتميّز الأمة الإنجليزية، ضد دعاوى القوميات الأوروبية المتعددة، التي تنازع الإمبراطورية البريطانية العظمى، وأيضا ضد كل الدعوات السياسية الهدامة، التي قد تفسد الحياة الراقية في المجتمع الإنجليزي، وكان أبرز مبدعيها فورستر وجورج أورويل[1]، ثم ظهرت روايات واقعية واجتماعية وسيرالية في القرن العشرين، مواكبة لتيارات أدبية وفلسفات اجتاحت أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى، بجانب روايات الفلسفات الوجودية والواقعية والعبثية إلى يومنا.

لم تمر الرواية العربية بمراحل متتابعة مثل الرواية الغربية، التي ظهرت فيها أجيال متتالية امتدت لما يقارب أربعة قرون، يمكن رصد فتراتها الزمنية، والحكم عليها فنيا وفكريا، وتبيان ملامحها، من حقبة إلى أخرى، مثل حقبة الرواية التاريخية ثم الرومانسية، ثم روايات المغامرات والتسلية، ثم تيارات الواقعية النقدية والطبيعية والسريالية وغيرها. فكل تيار روائي أوروبي استغرق ردحا من الزمن قد تصل إلى نصف قرن أو يزيد، نما فيه وترعرع ونضج على أيدي مؤلفين كانت لهم رؤيتهم الفكرية النابعة من امتزاجهم مع الجمهور، وتحسسهم لهمومه وتطلعاته، وغوصهم في مشكلات المجتمع، بجانب تشكيلهم لذائقة القراء، الذين كانوا حاضنة لإبداعاتهم.

تتمثل الظاهرة الأبرز في الرواية العربية في تداخلِ المراحل والملامح الفنية، في السيرورة الروائية العربية (الواقعيات مثلا).. بجانب السيرورة "النفقية" للرواية العربية الحديثة، التي نجمت عن المسرب السياسي الذي وجدت فيه، نتيجة تفاعلها الخاص مع المركزية الأوروبية، للتعبير عن مفاهيم الالتزام والضرورة أو الحقيقة الاجتماعية.

(1) نفسه، ص.431-535.

هذه السمة النفقية أدّت إلى طبع السيرورة الروائية على العموم بكل شيء على حساب الجمالية. ورغم هذا المنحى السلبي، فإنه يمكن التأكيد على إيجابيتها النسبية بوصفها إدماجا للأدب العربي في السيرورة الحديثة والمعاصرة[1].

المقصود بالسيرورة النفقية هو المسارات التي اتبعتها الرواية العربية منذ نشأتها إلى يومنا، وفيها كثير من عوامل التأثر والتأثير، دون مبالغة أو تحجيم للرواية الأوروبية شكلا وطرحا، وإن كان هناك كثير من الروائيين قد شغلتهم الطروحات الفكرية على حساب الجماليات الشكلانية، وربما يعود هذا إلى تصارع مذهبيات أدبية وفكرية وإيديولوجية عديدة، أشبعت فكر الروائيين، فسعوا إلى التعبير عنها، دون أن تتطور قدراتهم الفنية والإبداعية بشكل كبير؛ أي: إن الفكر سَبَقَ الجماليات وتفوق عليها.

لقد كانت الرواية العربية إحدى صور معارك الهوية التي خاضها العرب في العصر الحديث، ورغبة طليعة المثقفين في النهضة، ولأنهم كانوا مدركين بأن التقدم في الغرب اجتاز مراحل تاريخية طويلة، لذا، لم يكن أمامهم إلا أن ينهلوا من منتج الرواية الغربية الثري والمتراكم والمتنوع، الذي اشتمل على الروايات الرومانسية والتاريخية والاجتماعية وروايات الأجيال، فسارع الروائيون العرب إلى الإبداع في كل هذه المذهبيات، في فترة زمنية لا تزيد عن نصف قرن، بل واستمر هذا التنوع في الإنتاج الروائي حتى يومنا. وبمعنى آخر، إن الروائيين العرب في العصر الحديث قرأوا الرواية الأوروبية وقد اكتملت مبنى ومعنى، ووجدوا أمامهم سيلا كبيرا من الإبداع الروائي، يمتد لأكثر من ثلاثة قرون، وبأعمال جمعت بين النضج الفني والرؤية العميقة، والاتصال بقضايا المجتمع، والتفاعل مع الإنسان، فليس من المنطقي أن يبدأ الروائيون العرب من الصفر، ولا يتوجب عليهم أن يلتزموا بالمسيرة الأوروبية نفسها في الإنتاج الروائي، فالظرف التاريخي والاجتماعي والفني والفكري مختلف. وقد اطلع الروائيون العرب على النصوص الروائية الغربية الأصلية أو المترجمة،

(1) مبارك ربيع، المركزية الروائية والمركزية الثقافية، م. م، ص.46.

واكتمل في أذهانهم الشكل الروائي، وكان عليهم أن يبدعوا نصوصا تتسق مع مفهوم الرواية بالتعبير عن العرب اجتماعيا وثقافيا وشعوريا وسياسيا وفكريا... هذا ما فعلوه، عرفوا الشكل، وتشبعوا من فلسفته وجمالياته، وراحوا يصوغون إبداعهم في ضوء تلقي الجمهور العربي، الذي راح يتقبل تدريجيا هذا الفن الناشئ الجديد، في نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين. وبات كل روائي، وحسب ملكاته الأدبية، وقدراته الفنية؛ يختار ما يشاء من الموضوعات والأشكال الروائية، ليعبر فيها عن مجتمعه العربي، أيا كان موقعه، وهو ما عبّر عنه نجيب محفوظ، حين قال:

"الواقع والحياة كلاهما ملهم الكاتب. تفاعله مع بيئته، والناس، والثقافة السائدة، هو ما يكوّن رؤيته وشخصيته. عندما يكتب الكاتب رواية، ما الذي يفعله؟ يأخذ هذه العناصر ويعيد تكوينها لتعطي معنى.. الرواية ترجمة فنية للحدث والواقع"[1].

وهي مقولة بسيطة، لكنها تعبر عن تحرره من عباءة الرواية الغربية التي أبدع من خلالها نصوصه، وسعى إلى التمرد عليها، والبحث عن التجديد في الشكل. والمقصد من كلامه أن الروائي يمتلك الموهبة والأدوات ويختمر الشكل في ذهنه، ومن ثم يحول القصة إلى بنية فنية روائية تتفق مع وجهة نظره.

رابعا: تميز الرواية المغاربية العربية

يمكن القول: إن الرواية العربية المغاربية استطاعت أن تحقق تميزا، في بنياتها وأساليبها وطروحاتها، وتعبيرها عن هموم المجتمعات المغاربية، حتى وإن كُتب بعضها بلغة المستعمر، ولكن -كما يقول مبارك ربيع- فإن الثقافة العربية المعاصرة- في موقفها المحيطي أو فلكيتها إزاء المركزية الغربية-؛ اتسمت بالسعي- عبر إرادة ذاتية وعبر وعي وتخطيط- لتحقيق دلالة الارتباط بين الثقافتين العربية والغربية، وكذا

(1) إبراهيم عبد العزيز، أنا نجيب محفوظ: سيرة حياة كاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012، ص.193.

الارتباط بين السيرورتين الروائيتين، على أساس تفتح وتطور لإحداث ثقافة جديدة، تعبر عن مجتمع جديد، وتطبعها سمة ثقافية جديدة.

هذا ما جعل الرواية العربية متميزة. فالرواية العربية يمكن أن تتحدث عن الرومانسية كما تتحدث عن الواقعية الاشتراكية أو غيرها. وكذلك تتناول ثقافة الصراع الأوروبية وثقافة الإدماج أو الإجماع الأمريكية (للأقليات والمجموعات المندمجة)، وبالطبع على نحو مخالف لمفهوم الإجماع في الثقافة العربية، الذي يعني إجماع انصهار والتحام بدلا من مفهوم النسب والقرابة إلى القبيلة والأمة، مما يجعلها متجاوزة لآلية الأقليات والمجموعات الصغرى، والتمحور حول الذوبان في الوحدات الأكبر[1].

وقد أقرّ الناقد المغربي مبارك ربيع بأثر التبعية في ظهور الرواية العربية، فذكر أنه بعد تأمل السيرورة الغربية المتناغمة بمراحلها ومواصفاتها، مع ما يربطها بالسيرورة الروائية على الضفة العربية أو في فضائها، فإن الرواية العربية تبدو استزراعا أملته ظروف الضغط أو الجذب الثقافي للمركزية الثقافية الأوروبية على الثقافة العربية. ويفصل مبارك ربيع القول في حجته بأن الفكر الغربي يعرض علينا سيرورة متكاملة في تفاعلها، ما بين اتجاهات فكرية نظرية وفلسفية واجتماعية مع السيرورة الروائية من جهة، ومع السمات العامة للثقافة الأوروبية في مراحلها المختلفة من جهة أخرى. فبينما نلاحظ في الجانب النظري الفكري اتجاهات من قبيل: مثالية واقعية، وعقلانية وروحانية، وواقعية، ومن تجريبية علمية وإيديولوجيا اجتماعية، نجد بموازاتها سيرورة روائية من قبيل: رومانسية عاطفية، وطبيعية وصفية، وواقعية اجتماعية، أو نقدية أو اشتراكية، كما نجد السيرورة الروائية تتسم بالتجاوب مع السمات الثقافية العامة للبيئة الأوروبية، خاصة فيما انطبعت به منذ القرن التاسع عشر، من ميسم الصراع، ابتداء من المنطق الجدلي إلى البقاء للأصلح، إلى التحليل الطبقي (الصراع الطبقي)، والصراع النفسي.

(1) مبارك ربيع، المركزية الروائية والمركزية الثقافية، م. م، ص.46.

إنّ طابع الصراع خاص بإنتاج الثقافة الأوروبية، على خلاف الثقافة الأمريكية التي هي ربيبة الثقافة الأوروبية وامتداد لها، إلا أن لها ظروفها الخاصة والموضوعية في شمال القارة الأمريكية، إذ تتسم بالإجماع بدل الصراع، وتتركز مفاتيحها المصطلحية حول مفاهيم الإدماج أو الاندماج، والشخصية القاعدية والطابع الوطني، وهو ما اكتسبته التيارات الفكرية التي وفدت من أوروبا إلى أمريكا[1].

ما يشير إليه مبارك ربيع آنفا، هو أن الرواية العربية استفادت من طروحات الرواية الغربية وأشكالها، وصنعت تميزا لها. ولكن نتوقف عند إشارتين في كلامه تتصلان بفلسفة الصراع الأوروبية والإجماع الأمريكي، وإن كنا تناولنا الصراع من قَبل، ولكن نود التركيز هنا على مفهوم الصراع، لأنه سيفيدنا لاحقا عند مناقشة القضايا الإنسانية في الرواية العربية، خاصة تلك الروايات التي تبنت الصراع في رؤيتها.

ثمة جملة من التصورات المتصلة بفلسفة الصراع مفادها أن الحياة الاجتماعية تولد بطبيعتها الصراع؛ لكونها تتكون من جماعات ذات مصالح مختلفة ومتداخلة، فالنظم الاجتماعية ليست متحدة ومنسجمة، فهي تتضمن أشكالا متباينة من القوة وتميل إلى التغيير سعيا لتأكيد ذاتها وضمان حقوقها والتخلص من الطبقة المسيطرة عليها، كل ذلك لن يتأتى إلا عن طريق الصراع. وتتجلى نظرية الصراع (Conflict Theory) في مستويات: بين الأفراد، وبين الجماعات، وفي دائرة الأفكار، والصراع الطبقي على نحو روّجت إليه الماركسية، وصولا إلى الصراع الحضاري[2].

وبالطبع فإن نظرية الصراع التي يمكن إسقاطها على العديد من الوقائع التي يشهدها عالمنا العربي، في غياب الانسجام والتوازن، أو وجود حالات عدم الرضا عن السلطة والدخل المادي، والملكية الخاصة والصراعات بين العشائر والفئات الاجتماعية والأقليات والأفكار. فهناك انتقادات موجهة لنظرية الصراع، خاصة في

(1) نفسه، ص.45.

(2) الأزهر ضيف، وجميلة زيدان، نقد نظرية الصراع وإسقاطها على الواقع العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخض-الوادي، ع.20، ديسمبر2016، ص.189-191.

منظور الصراع الطبقي الذي روّج له كثير من الروائيين العرب المؤمنين بالاشتراكية العلمية، إذ إن مفهوم الصراع نفسه مأخوذ من العلوم الطبيعية، ولا ينطبق في كثير من الحالات على المجتمع الإنساني، فقد يكون هناك صراع أو توافق أو إجماع أو مركبات بينية.

فالعنصران المتضادان (الموضوع ونقيضه)، قد يتحدان لإنتاج ظاهرة جديدة، يمكن أن تسمى مركب الموضوع، بمعنى أن الصراع لا يجب أن ينتهي نهاية صفرية، بانتصار طرف على آخر، وإنما قد يصل الطرفان إلى توافق ما، مثل المركبات الكيميائية، فقد يؤدي تضاد بعض العناصر إلى إنتاج مزيج جديد، فمن الممكن أن يسعى الناس بوعي وذكاء إلى تحقيق قدر من الإجماع[1]، والتوافق بينها حول أمور مشتركة، والتباحث في الأمور الخلافية. فالصراع سيكون محدودا لمدة زمنية، تعقبه عملية تقارب ثم توافق جزئي أو كلي، وقد يكون اللاتوافق، ولكن عقبه تأثيرات ما، تتضح بعد ذلك، فالحياة الإنسانية لا يمكن حصرها في الصراع فقط، أسوة بمنطق الغابة، حيث الحيوانات تتصارع من أجل تأمين طعامها، فيسود منطق القوي يأكل الضعيف، وأن الصراع نهايته هزيمة طرفٍ ومحوه.

وقد أفرز الفكر الأمريكي مفهوما مخالفا للصراع، وهو الإدماج والإجماع، وهو ناتج عن طبيعة المجتمع الأمريكي، حيث تتعدد العرقيات والأصول فيه، مما أنتج فلسفة التعايش في ضوء حقيقة التنوع، ودعم قيم التسامح والتعايش، وفرض الاهتمامات الواقعية، وسيادة فكرة الدولة المحايدة، التي يتحقق فيها إجماع سياسي حول قضايا تهم مصلحة مواطنيها، ونادى المفكرون الأمريكيون بأهمية تبني نظرية أخلاقية أكثر شمولا، تتخطى الصراعات في المجتمع، وتُثبِت التسامح الذي يعني إدماجا لجميع المواطنين والمقيمين في الوطن، ويجعل من التنافس سبيلا شريفا[2].

(1) نفسه، ص.192-193.

(2) رمضان بسطاويسي محمد، التسامح، (ضمن سلسلة مفاهيم فلسفية)، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2018، ص.83-84.

وإذا طبقنا هذه الرؤية على الرواية العربية، فإننا سنعي أن الصراع لا يشترط أن يكون قائما في الرواية بشكل كامل أي محوريا فيها كما يفترض بعض الدارسين، فلا بد أن يكون للروائي نظرة إلى الواقع المعيش، وكما قال عبد المحسن طه بدر:

"الإنسان العبقري والأديب المبدع يتمتع بحساسية شديدة، يحكمها ذكاء حاد، [...] [ولديه] القدرة على تركيب الأبنية الخيالية.

[...] فإذا سلمنا بهذه المقدمة فلنا إن الأديب المبدع لديه القدرة على كشف القوى الفاعلة في مجتمعه، والتمييز بين القوى التي تشدّ إلى الخلف، والقوى التي تدفع إلى الأمام. وإنّ العمل الأدبي الذي يبدعه ذلك الأديب يأتي معبرا عن هذه الرؤية النابعة من شدّة الحساسية والذكاء الحاد. ولعلي أفترض مقولة تذهب إلى أن الأديب الذي يستحق أن تسميه مبدعا، هو الأديب القادر على معرفة القوى المتصارعة في المستقبل، والذي ينحاز بالضرورة إلى قوى التقدم، ولكن قد يحدث أن يزيف ذلك الأديب رؤيته، أو يتخذها للدعاية. أو يسخرها لأغراض أخرى..."[1].

بذلك لا يكون الروائي ناقلا للإيديولوجيا والفكر في سردياته، وإنما ينظر إلى المجتمع وينفعل بقضاياه، وما يراه في شخصياته، وما يعاصره من أحداث، ويكون شاهدا على التاريخ الفردي والجمعي، ولكن عليه أن تكون قراءته فاعلة وعميقة لا تتجمد في الترويج لإيديولوجيا بعينها، وإنما تسعى إلى تقديم قراءة لواقع المجتمعات، وقوى التغيير فيه، والقيم الإنسانية التي يلزم ترسيخها، وأهمية نشر مبادئ إنسانية، قوامها التسامح والتعايش والاندماج، وهذا لا ينفي وجود الصراع، ولكنه صراع من أجل الأفضل، وفي سبيل المزيد من التأثير. وهذا التأثير لن يتحقق إلا بتبني رؤى عديدة، والانفتاح على أفكار جديدة، قد تأتي من الأفراد أو الجماعات أو الأحزاب أو مراكز الفكر، أو من الشعب نفسه: البسطاء والنخبة، وهذا ما يشير إليه عبد المنعم تليمة عندما يتساءل:

---

(1) عبد القادر زيدان، ندوة الأدب والإيديولوجيا، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج.5، ع.4، صيف 1985، ص.19-20.

"ما الذي يحول بين خصوبة هذا المجتمع وتعدده الفكري وبين الظهور؟ [يجيب] إنّها الهيمنة والاحتكار بديلا عن المحاورة. والاحتكار هنا هو احتكار مراكز الثقافة إنتاجا وتوزيعا، إنّ المبدع يُحال بينه وبين الوصول إلى قرائه؛ يحجب إبداعه، يحاصر، يصادر. ولكن ترى ما المخرج؟ المخرج -في تصوّري- هو قيام المحاورة بين التيارات والاتجاهات والمدارس المنتجة للأدب والثقافة بلا تفرقة. وسيتضح لنا عندئذ أن القبلية والطائفية والعشائرية والسلفية قوى موضوعية في مجتمعنا العربي، تشارك في الإنتاج الثقافي"[1].

فليكن النص الروائي سببا للكشف عن وجهات النظر وتنوع الرؤى وثراء الفكر، حتى لو كُتِب من منظور أحادي؛ هو منظور الروائي، فلا بد أن هناك مناظير لروائيين آخرين، يختلفون في الفكر والإيديولوجيا، وبذلك تتوافر في الروايات تعدديات، تعبر عن حالة الحريات والتعددية في المجتمع وبين الأفراد، وهو ما يجب أن نقرأ به الرواية المغاربية، التي تعبر عن مجتمعات تكاد تتوحد في ثقافتها ولغتها وتاريخها، وقد تختلف في بيئاتها المحلية ومستوياتها المعيشية واختلافاتها الفكرية.

دار كنوز المعرفة

خلاصة

يمكن أن نصل في خلاصة هذا البحث إلى جملة نتائج، أبرزها:

- إنّ مفهوم الرواية العربية يتسع ليشمل المنتج السردي المكتوب بغير العربية، ولكنه يتناول قضايا الإنسان العربي والاستعمار، مع الوعي بالتمايز الثقافي المحلي بين شعوب العالم العربي، الذي يعني إثراء وتنوعا، وليس اختلافا وتفرقا.
- إنّ تجربة الرواية المغاربية في العصر الحديث عبرت عن أحد وجوه أزمة الرواية العربية، باضطرار بعض الروائيين إلى الكتابة بلغة المستعمر، وسقوط

(1) نفسه، ص.19.

بعضهم في إسار النموذج الغربي الحضاري، وهو نموذج اعتمد على ترويج دعاوى الاستعمار إزاء شعوب القارة السمراء.

- تتقاطع الرواية المغاربية المكتوبة باللغات الأوروبية مع أدب المهجر والشتات، في ضوء وجود أقليات عربية تعيش في الغرب، ويصوّب مبدعوها أعينهم نحو مشكلات بلادهم.
- استطاعت الرواية المغاربية أن تتميز في تجربتها المعاصرة، وتخرج من شرنقة الرواية الأوروبية، في طروحاتها ومضامينها التي تناولت الكثير من مشكلات المجتمعات العربية، بل قدمت نماذج بديعة، جعلتها متميزة في خارطة السرد العالمية.
- لن يتحقق التميز للرواية المغاربية إلا بالمزيد من التراكم الإبداعي، والمزيد من المواكبة النقدية له، بهدف تسليط الضوء على الجديد الذي يقدمه المبدعون المغاربة، على أن تكون القراءة في ضوء خارطة الرواية العربية، وأيضا منظومة السرد العالمية.

دار كنوز المعرفة

المصادر والمراجع

بالعربية:

أولا: الكتب العربية:

- إبراهيم عبد العزيز، أنا نجيب محفوظ: سيرة حياة كاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012.
- باترِك بارندر، الأمة والرواية: الرواية الإنجليزية من بداياتها حتى الوقت الحاضر، تر. محمد عصفور، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط.1، 2009.
- رمضان بسطاويسي محمد، التسامح، (ضمن سلسلة مفاهيم فلسفية)، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2018.
- شكري محمد عياد، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع.177، 1993.
- عبد الكبير الخطيب، الرواية المغربية، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1971.
- نعيسة جهاد عطا، في مشكلات السرد الروائي: قراءة خلافية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

ثانيا: المجلات والدوريات والمواقع الإلكترونية:

- الأزهر ضيف، جميلة زيدان، نقد نظرية الصراع وإسقاطها على الواقع العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي، ع.20، ديسمبر2016.
- بن سالم حميش، في إشكالية الهوية المزدوجة: الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية نموذجا، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج.16، ع.4، ربيع 1998.

- عبد القادر زيدان، ندوة الأدب والإيديولوجيا، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج.5، ع.4، صيف 1985.

ثالثا: الموقع الإلكترونية:

- محمد صالح الشنطي، إشكالية الانتماء في الرواية العربية المكتوبة بالفرنسية.
- موقع ديوان العرب، http://www.diwanalarab.com 23-03-2007.

بغير العربية:

- Itishri Sarangi, Literature and Diaspora, KIIT University, Odisha State, India, (bengalstudents.com/blogs/onlinerose/diaspora-literature-special.
- Kristina S. Vassil, Writing Diasporic Identity in the Literature of Early Twentieth-Century Japanese America, in The University of Michigan, 2011.

دار كنوز المعرفة